وقائع مؤتمر

الإمام الحسين الدولي الرابع عليه السلام

٢٢٩ / ٣٠٧٠٦٣
م ٤٩٨ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٤ : ٢٠٢٣: كربلاء).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع: القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة/ المؤتمر . - ط١. -
كربلاء: دار الوارث ،٢٠٢٣.
٨٢١ص. :٢٤سم
١. القرآن والمجتمع - مؤتمرات. / . العنوان.
م. و .
٣٦١٥ / ٢٠٢٣
المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦١٥) لسنة ٢٠٢٣

الناشر: دار القرآن الكريم - العتبة الحسينية المقدسة
التصميم والاخراج الفني: قحطان عامر الطائي
الطبعة/ الأولى
سنة الطبع/ ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣
المطبعة/ دار الوارث للطباعة والنشر

تمت ترجمة الملخصات في العتبة الحسينية المقدسة، مركز الاعلام الدولي،
ترجمة: أبا الحسن عباس

وقائع مؤتمر

الإمام الحسين عليه السلام الولي الرابع

المنعقد بعنوان

القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة

بالتعاون مع جامعة الزهراء عليها السلام للبنات في كربلاء المقدسة

للمدة من ١٥-١٧-٢٠٢٢م

الموافق ٨-١٠ شوال ١٤٤٣هـ

اللجنة المشرفة

أ. د. زينب عبد الحسن الملا السلطاني/ رئيس جامعة الزهراء عليها السلام للبنات

أ. د. نجاح فاهم العبيدي/ جامعة كربلاء

د. الشيخ خير الدِّين الهادي/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

د. السيد مرتضى جمال الدِّين/ المعاون العلمي لرئيس قسم دار القرآن

اللجنة العميَّة

أ.د. ضرغام كرم كاظم الموسوي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة كربلاء

أ.د. خليل شكري هيَّاس/ رئيس قسم اللغة العربيَّة جامعة الموصل

أ.م.د. طلال فائق مجبل الكمالي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة الوارث

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي/ الكليَّة التربويَّة المفتوحة مركز النجف الأشرف

أ.م.د. خالد محمود حمي/ جامعة الموصل

م. د. عماد طالب موسى/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

م. د. عمَّار حسن عبد الزَّهرة/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

د. باسم دخيل مراد العابدي/ كليَّة المعارف الإسلاميَّة

م. م. علي فليح علي الفتلاوي/ جامعة كربلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (١١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة:

الحمد للهِ الذي لا تُدركه الشواهد، ولا تحويهِ المشَاهِد، ولا تراهُ النَّواظِر، ولا تحجُبُهُ السَّوَاتِر، الـدَّالِ على قدمهِ بحدوثِ خلقِهِ على وجـودِه، وبحدوثِ خلقهِ على وجودِه، وباشتباهِهم على أن لا شَبَه له، الذي صدق في مِيعادهِ، وارتفع عن ظُلمِ عِباده، وقامَ بالقِسطِ في خلقِهِ، وعَدَلَ عليهِم في حكمه، مستشهدًا بحدوثِ الأشياءِ على أزليته..

اللهمَّ اجعل شرائف صلواتِك، ونوامي بركاتِك، على محمَّدٍ عبدِك ورسولِك، الخاتِم لمَا سبق، والفاتِح لما انغلق، والمُعْلن الحقَّ بالحقِّ، والدَّافع جيشات الأباطيل، والدَّامغِ صولاتِ الأضاليل.

وصلِّ اللهمَّ على أهلِ بيته، شجرةِ النُّبوَّة، ومحطِّ الرِّسالة، ومختلفِ الملائكة، ومعادن العِلم، وينابيعِ الحُكم.

وبعد ...

فقد عمل قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب الله تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع إقامة المؤتمرات السنويَّة الدَّوليَّة؛ بغية تصدير المعرفة القرآنيَّة إلى المؤسَّسات العلميَّة والحوزويَّة والأكاديميَّة، ومن جملة المؤتمرات التي يرعاها قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدَّولي السنوي، وقد عُقِد في نسخته الرابعة بعنوان: (القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة) الموافق ١١/ ٥/ ٢٠٢٢ م.

وذلك لما لهذا الموضوع من أهميَّة قصوى في الحياة المعاصرة نتيجة ظهور آفاتٍ مجتمعيَّةٍ كثيرةٍ، فكان لزامًا أن تتصدَّى المؤسَّسات العلميَّة لوضع بعض المعالجات، وأهمُّ الأسس في هذا الجانب القرآن الكريم بوصفه العماد الأساس في تربية الإنسان وضمان الحياة الكريمة له، بعيدًا عن الشذوذ والآفات المجتمعيَّة، فكان القرآن الكريم خير معتمدٍ في مواجهة ما تعمل عليه الجهات العالميَّة المنحرفة في إشاعة السلبيات بين فئات المجتمع؛ إرضاءً لانحراف سلوكهم، أو بغية تحقيق مآرب مشبوهةٍ، أو منافع شخصيَّة، أو تحقيق هدفٍ شيطاني تسعى إليه القوى المهيمنة الظالمة في حربها لله تعالى وأوليائه، ومن هنا فإنَّهم بدأوا باستهداف القرآن الكريم حرقًا فيه وتمزيقًا له وبثًّا للشبهات في مضامينه؛ لمعرفتهم بقوَّة تأثيره في مواجهة انحرافهم ومآربهم، ولهذا فإنَّ علينا أن نبذل كلَّ ما بالوسع من أجل إيصال رسالة القرآن الكريم إلى كلِّ أرجاء المعمورة؛ حتَّى يعمَّ نوره كلَّ موطنٍ فيها وتكون الحجَّة البالغة لله تعالى، وعلى هذا الأساس كان انطلاق دار القرآن الكريم في عملها المعرفي من جعل القرآن الكريم والعترة الطاهرة أساسًا في تبنِّي المشاريع الإصلاحيَّة، إيمانًا بحديث الثقلين الذي جعل الرسول صلى الله عليه وآله القرآن وأهل بيته العاصمين من الضَّلال، ومن هنا عوَّل قسم دار القرآن الكريم في هذا المؤتمر على مراقبة بعض الأطر الإصلاحيَّة في القرآن الكريم على وفق ستِّة محاورٍ هي:

١. أنماط العلاقات الاجتماعيَّة على وفق المنظور القرآني.

٢. المجتمع المثالي في ضوء النَّصِّ القرآني.

٣. تحديات الحياة اليوميَّة وصورة معالجتها قرآنيًّا.

٤. القرآن والتغيرات الثقافيَّة.

٥. تقييم المشكلات الاجتماعيَّة المعاصرة من المنظور القرآني.

٦. الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام من المنظور القرآني.

وقد ورد لقسم دار القرآن الكريم بإزاء هذه المحاور مجموعة من البحوث تربو على الخمسين بحثًا من دول مختلفة، ناقشت مجموعة من القضايا المجتمعيَّة المعاصرة مع وضع بعض الحلول التي تلائم تلك القضايا من القرآن الكريم، وبعد عرضها على اللجان العلميَّة ترشَّح عدد منها وعمد قسم دار القرآن الكريم أن يطبعها في هذه الوقائع؛ تلبيةً للحاجة المعرفيَّة، وإسهامًا منه في رفد المكتبة الإسلاميَّة بالدِّراسات والبحوث الرصينة المعتمدة على المنهج العلمي في متابعة الأفكار ورصدها.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على محمَّدٍ وآله الطاهرين

الْقِرَاءةُ الْمُعَاصَرةُ لِلنُّصُوص الدِّينِيَّة وانعكاساتها عَلَى الِانْحِرَافِ الفِكْرِيّ بَيْن فَوْضَوِيَّة التأويل وقداسة التَّنْزِيل

أ. د. رعد حميد توفيق البياتي

الجامعة العراقية/ كلية العلوم الإسلامية

الملخص:

تتلخص فكرة البحث بخصوص المقاربة العلمية الموضوعية التي تعالج موضوع التطرف الفكري وما يستتبعه من مضخمات الإرهاب، والذي نعتقده هو نتاج القراءة المعاصرة غير المتزنة للنصوص الدينية وتفسيراتها السياسية أو الاجتماعية كمظلة يمارس من طريقها المتطرف القراءة السطحية التي لا صلة لها بالمفهوم القرآني مطلقا، وهو مما نهدف إلى تأصيله، وبيان الباعث لهذا التكييف للتأويلات، ويتم ذلك بمنهجية استقرائية نقدية، وجميع ذلك على وفق ضبط التأويلية اللازمة واتحادها مع التقديس للنصوص ودلالاتها التي يضعها المخاطبون لها.

واستنتجنا إنَّ منهج فهم النص الديني الإسلامي لدى التيار الحداثي المعاصر منْفلت من الضوابط المنهجية الإسلامية الخاصة بتفسير القرآن الكريم وشرح حديث النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتوصلت إلى أنَّنا لا نعاني من النّصّوص بقدر ما نعاني من اللصوص، لصوص التسخير لتأويلات النصوص المقدسة.

الكلمات المفتاحيَّة: الْقِرَاءةُ الْمُعَاصَرةُ ، النُّصُوص الدِّينيَّة، الِانْحِرَافِ الفِكْرِيّ، فَوْضَوِيَّة التأويل وقداسة التَّنْزِيل

2- Summary:

The idea of this research is about the objective scientific approach that addresses the subject of extremism and the subsequence magnitude of terrorism, which we believe that its the result of the unbalanced contemporary reading of religious texts and their political or social interpretations that the fanatic person uses as a justification for his actions, which is irrelevant and far away from the Quranic concept, which we aim to root it and to indicate the motive for this adaptation of interpretations, This is done with a critical extrapolation methodology, all in accordance with the necessary interpretative adjustment, and its association with the Holiness concept for texts, and their meanings established by the addressees.

We concluded that the methods of understanding the Islamic religious text in the contemporary modernist current are empty of any Islamic Systematic rules on the interpretation of the Holy Quran and explaining the Prophet's speech, so I found that we are suffering from thieves, bigger than texts, the thieves of Modifying Holy texts on their benefit.

مقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه المنتجبين، أمَّا بعد:

فإنَّه لمن الاتزان الفكري وصوابيته وتسديد النظر علميًّا، التوثُّب لمطارحة القضايا الشائكة التي تتعدد فيها الآراء وتتشعب حولها الرؤى وتتباين حولها التوجهات وهو مما يفضي لا محالة الى توجيه الفكر الأفضل وإنزاله على الداء.

وهنا وددنا المقاربة العلمية الموضوعية التي تعالج موضوع التطرف الفكري وانحرافه، وما يستتبعه من مضخمات الإرهاب تنزيها عن الشخصنة أو المميلات التي تزيح الباحث عن صوارم العقل وبديهيات الفكر؛ لتلقي به في متاهات الوجدان والانسياق العاطفي، والأمر لا يغفله أحد بعد أن مسَّت شرارته دولًا وشعوبًا وأبرياء، وبعد أن حارت عين فكري في خطابات التطرف ومستنداته التعبويَّة ألفيت العلماء الإثبات الذي عارضوه واتسموا بالاتزان الفكري وهم يقلبون صفحات النصوص الدينية (قرآن وسنَّة) ممسكين عن التجاسر في وسم المخالف بدعوى الكفر أو الضلال أو الزيغ، ورست لهم قدم السبق في إيضاح المشكل وتنقية الغبار عن التأويلات المؤدلجة، وما مرَّ هو نتاج يعتقده الباحث للقراءة المعاصرة غير المتزنة للنصوص الدينية وتفسيراتها الهرمنيوطيقا السياسيَّة أو الاجتماعية غير المتزنة للفكر العربي المعاصر؛ لأنَّ التأويل آلية قرآنية يسهِّل لهم الوصول إلى الأهداف التي يسعون لتحقيقها بسهولة ومن دون إحداث ضجَّة، ولذلك يتخذ الخطاب هذه الآلية بوصفها مظلَّة يمارس من طريقها القراءة السطحيَّة التي لا صلة لها بالمفهوم القرآني مطلقًا، وهنا يمكن عدُّ التأويلية من المفاهيم التي استغلها الفكر العربي ببشاعة لتبنّي كثيرا من المشاريع النهضوية الناقدة للخطاب الديني وتجديده وتنويره وتحديثه، وجميعه يدور بحسب رغبة المفكر ومقتضى الحال (السياسي او الاقتصادي او الثقافي) لذلك نحن بأمس الحاجة لصعود القراءات

المعاصرة للنصوص الدينية المقدسة الكتاب والسنة على ميزان العقل والعاطفة وهو منهج القران الخطابي ومنهج الرسول ﷺ لبيان وتبيان الأصوب والأصلح.

لذا فنحن بحاجة إلى توازن واتزان في تشخيص المقتضى الخطابي ومدى ملاءمة العرض القرآني للحادثة المعاصرة وجميع ذلك على وفق ضبط التأويلية اللازمة واتحادها مع التقديس للنصوص ودلالاتها التي يضعها المخاطِبين لها.

مشكلة البحث: تنحصر مشكلة البحث بتساؤل رئيس مفاده:

١. هل للقراءة القشرية أو المتعمقة للخطاب القرآني- ومدى إجادة المخاطِبين فيها- أثر في التطرف الفكري ومن ثم الإرهاب الممقوت؟

٢. هل الإتاحة غير المقيدة للتأويل ولهرمنيوطيقا النص المقدس ذات عوائد إيجابية لترصين الفكر الإسلامي أو أداة لتشتيت الفكر والتجائه لطرف غير الوسط المعتدل؟

٣. إلى أيِّ مدى يمتلك العلماء حق اللجوء للتأويل وإسقاطه على القران الكريم؟

أهداف البحث: مما تهدف إليه هذه الدراسة هو الوقوف على الأهداف التي نجملها في:

٤. العمل على بيان الدوافع والبواعث التي تلجئ الفكر المعاصر لتأويل النصوص المقدسة، هل هو تقحم في المهالك واجتراء على المقدس لمكاسب؟.

٥. الهرمنيوطيقا التي رفع لوائها الفكر الحداثي في مشاريعه النهضوية هو في الحقيقة اجترار لما لفظته الثقافة الغربية ومحاولة اسقاط هذه المناهج على النصوص الدينية من أجل تعليب الأفكار الإسلامية بما يتواءم مع خطاب الغرب.

٦. الجزم بأنَّ الخطاب الديني الإسلامي السياسي خاضع بما لا يقبل الشك للمناهج الغربية بعد تنامي الحرية للتأويلية التداولية بين الثقافات والحضارات حتى أضحى مفهوم التأويل القشة التي انقذت الغارقين ببحار البعد عن الله سبحانه.

أهمية البحث:

تتحدد أهمية البحث بأهمية إشكاليته المطروحة وهي موضوع الإرهاب وما يشكله من أزمة عالمية تم أسقاطها على الفكر بوصفه المحرك الحقيقي للشعوب وما يستتبعه من أزمات مركبة تؤدي بالضرورة الى إيجاد مجتمعات مأزومة من جهة ولاءاتها ورصانة أفكارها وهو بسبب ما نراه قراءة مغلوطة لنصوص الدين وبسبب ذلك التدين الانفعالي.

الدراسات السابقة: كُتِب عدد قليل من الدراسات حول التأويل الخاطئ، ولكن جميع ما كتب لم يتناول التأويل المعاصر ومخاطره على الغلو والتطرف والانحراف الفكري بوصفه المستند الذي يتكئ عليه دعاة الممانعة والتشدد وتكفير الآخرين، ومن باب الأمانة العلمية سأذكر أهم ما اطلعت عليه من هذه الدراسات:

١. أزمة الخطاب الديني في الفكر العربي المعاصر، د. لبصير نور الدين جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر

٢. إعادة قراءة النص الديني بين أهل التأويل ومناهج المعاصرين، محمد الأمين بله الأمين الحاج معهد اسلام المعرفة، جامعة الجزيرة/ السودان، مجلة فتوحات، العدد الثاني لعام ٢٠١٥

٣. دور الفهم الخاطئ للآيات وفساد التفكير في التطرف والتكفير، مريم بنت راشد بن صالح التميمي، بحث مشارك في مؤتمر كلية الشريعة جامعة قطر غير منشور(وهو بحث حصلت عليه من زميلتي مريم التميمي اثناء مشاركتي في المؤتمر المذكور في جامعة قطر عام ٢٠١٧) ولكنه لم يدرس التأويل الخاطئ للنصوص، بل الفهم لجميع التشريعات الدينية بما فيها الفقهية.

منهجية البحث: إنَّ المنهجية التي سار عليها الباحث هي المنهج الاستقرائي والتحليلي النقدي لما يراه الباحث من تأويلات معاصرة تتسم على الدوام بالفوضوية الموجهة الا النزر القليل منها.

خطة البحث: اشتمل البحث على مقدمة و مباحث عدة وخاتمة، وهي بحسب الآتي:

المبحث الأوَّل: القراءة المعاصرة للنصوص الدينية.

المبحث الثاني: الانحراف الفكري نتاج القراءات المعاصرة بين المقدس والمدنس.

المبحث الثالث: فوضوية التأويل باعث التطرف الفكري.

المبحث الأول: القراءة المعاصرة للنصوص الدينية

المطلب الأول: التعريف بعنوانات البحث

١. النص الديني:

النص: تستعمل كلمة «نص» بمعنيين[١]:

اللفظ الذي لا يحتمل إلا معنًى واحدًا.

اللفظ مطلقًا؛ أي: بما يحمل من معنًى واحد أو أكثر من واحد. والمراد به هنا عند الإضافة: آيات القرآن الكريم وروايات السنة الشريفة، ولا يتعدَّى منها إلى سواهما من أقوال وفتاوى الفقهاء، إلا بشيء من التسامي في التعبير أو الاتساع في الكلام[٢]، ونخلص إلى أنَّ النص الشرعي: هو الكلام الصادر من المشرع لبيان التشريع[٣].

المقصود بالنص الديني: مرادنا من هذا الإطلاق النص الإسلامي وهو هنا محصور في نصي الوحي القرآن والسنة المطهرة[٤].

هذا الكلام الصادر طرأ عليه تأويل بهدف الوصول إلى معانٍ وقراءات للنص تلائم متطلبات الواقع، لم تظفر بها قراءات سابقة، فظهرت مناهج نقدية حديثة في النهضة الفكرية الحديثة حاولت ذلك؛ مما جعله نصًا مفتوحًا على جميع التأويلات، وتتعدَّد تأويلاته بتعدُّد

(١) ينظر: د. خالد السيف، من ظاهرة التأويل في الفكر العربي المعاصر – دراسة نقدية إسلامية «؛ ص ١٣

(٢) هنالك فرق بين المفهوم والمصطلح من حيث المعنى والتعريف، للاستزادة ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني؛ ص ٤٠٣، أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه؛ ص ١٩، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر؛ محمد عجاج الخطيب، ص ٩.

(٣) ينظر: كمال عمران، المنصف بن عبد الجليل، الباجي القمرتي،وداد القاضي، في قراءة النص الديني؛ عبد المجيد الشرفي، ص ٤٢، الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم، ص ٣٠٠؛ د.السيد محمد شاهد،فلسفة التوفيق بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية.

(٤) ينظر: مرجي، فوزية عيد، ٢٠٠٦، فلسفة التوفيق بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع اربد الاردن، ص٣١

قراءاته، فما كان مفهومًا من النص الشرعي في القرن الأول على وجه، فلا مانع من إعادة تأويله بحسب مقتضيات البيئة الثقافية ومتغيرات الحضارة، وعلى ضوء هذا بدأ التشريع لدين جديد في العقائد والأحكام، وإلغاء الفهم السائد للنصوص الدينية، فوقع النص هنا بين تأويلين: أحدهما عند علماء الأصول والتفسير، والآخر لدى الحداثيين المعاصرين وما يريدونه منه[١]، ففي حين يعني لدى الأوائل صرف الكلام عن ظاهره إلى معنًى يحتمله. فإنَّه لدى الحداثيين العرب ينحو منحًى عميقًا، يطال النص بالكليَّة، ويصرفه عن وجهته السياسية والتشريعية إلى الوجهة الروحية أحيانًا، ويجعل العقل المعاصر حكمًا عليه أحيانًا أخرى[٢]، في حين كان الفقهاء وعلماء الأصول والتفسير، يؤولون لدواع اجتهادية شرعية ولغوية، يحرصون بها على الاقتراب أكثر من مطلوب النص، فإنَّ المحدثين يندفعون في الغالب بدوافع من خارج النص، أفرزتها معطيات الثقافة المعاصرة، وأثَّرت فيهم عوامل خارجيَّة من قبيل الفجوة الحضارية التي تعاني منها البلاد العربية والهزائم العسكرية التي توِّجَت بوقوع كثير من البلاد العربية تحت الاستعمار المباشر، فالتبعية – ما أفضى إلى الاقتراب من مناهج الغرب، والخضوع لها أحيانًا، فتعجَّل مثقفون ومفكرون عرب الحكم على التراث بالسلبية، بل تجاوزوه إلى النصوص، وحتى القطعية منها[٣]، فيتبينَّ لنا هنا الفرق بين النص والخطاب الديني في الفكر المعاصر،

(١) ينظر: محمد الأمين بله الأمين الحاج، إعادة قراءة النص الديني بين أهل التأويل ومناهج المعاصرين، معهد، جامعة الجزيرة/ السودان، مجلة فتوحات، العدد الثاني لعام ٢٠١٥، ص ٧٤

(٢) في حين كان الفقهاء وعلماء الأصول والتفسير، يؤولون لدواع اجتهادية شرعية ولغوية، يحرصون بها على الاقتراب أكثر من مطلوب النص، فإن المحدثين يندفعون في الغالب بدوافع من خارج النص، أفرزتها معطيات الثقافة المعاصرة، وأثرت فيهم عوامل خارجية من قبيل الفجوة الحضارية التي تعاني منها البلاد العربية والهزائم العسكرية التي توِجَت بوقوع كثير من البلاد العربية تحت الاستعمار المباشر، فالتبعية – ما أفضى إلى الاقتراب من مناهج الغرب، والخضوع لها أحيانًا، فتعجَّل مثقفون ومفكرون عرب الحكم على التراث بالسلبية، بل تجاوزوه إلى النصوص، وحتى القطعية منها؛ ينظر: مقال «الحداثة العربية وتأويل نص الإسلام الديني»؛ لعلي بار ويس، اليمن، موقع المسلم.

(٣) ينظر: لعلي بار ويس، الحداثة العربية وتأويل نص الإسلام الديني»، اليمن، ٢٠١٥، موقع المسلم /almoslim.net/node/ / http/ ٩٢٩٣٩.

فالنص هو السلطة الخبرية التي تلزم الناس أن يرجعوا إليها[١]، وفي كثير من الأحيان يقصر على القرآن، وأمَّا الخطاب الديني، فهو طرق ووسائل تبليغ المنظومة الدينية، وكيفية التعبير عنها[٢].

٤. القراءة المعاصرة: هي: استعمال رؤية حديثة جديدة في قراءة النص الشرعي، سُميت بذلك؛ لأنَّها تعتمد على سطحية الفهم الإنساني للنص الشرعي لتلائم الخطاب الديني المتشكل بحسب رغبة الواقع المعاصر والبيئة الفكرية والمكانية والزمانية، تمهيدًا لأنَّ يكون في كلِّ عصر قراءة جديدة للنص الشرعي[٣].

٥. التأويل: التأويل في الفكر الغربي ارتبط في حقبة زمنية بالكتاب المقدس، فلما انفرط عقد الكتاب المقدس، انفرط عقد التأويل، فأصبح لونًا من التسلية أو التفكير الذي لا يرتبط بالنص، كل فكرة جديدة أصبح من الممكن ربطها بالكتاب المقدس مهما كانت مخالفة لتعاليمه؛ وذلك حتى لا تغضب الكنيسة، وحتى تروج دينيًا وتلقى قبولًا ما، وطبعًا لم يكن ذلك موفقًا دائمًا، فكان أغلب المؤولين في خلاف مع الكنيسة تحت اسم الهرطقة، فالهرمينوطيقا هي التأويل المنفلت[٤]، والذي عدته الكنيسة هرطقة وتجديفًا[٥].

أمَّا في الرؤية الإسلامية فله معنى لغوي وآخر اصطلاحي، فالمعنى اللغوي يعني

(١) ينظر: إسماعيل،فادي، ١٩٨٧، الخطاب العربي المعاصر قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ص٣٧

(٢) ينظر: الجابري، محمد عابد، ١٩٨٦، نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ص ١١.

(٣) ينظر: محمد كالو؛ القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، ص ٥٦-٥٧، نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ص ١١.

(٤) ينظر: مصطفى، عادل،٢٠١٨،مدخل إلى الهرمنيوطيقا، «نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص٤٥

(٥) ينظر: نظرية النص؛ ترجمة محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد ٣/ ١٩٨٣، نظرية التأويل،النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، ط ١ / ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٠ م، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، «نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر»؛ د.عادل مصطفى، ص ٤٥،الخطاب العربي المعاصر قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة؛ فادي إسماعيل، ص ٣٧.

الرجوع: وآل بمعنى رجع، فالتأويل بمعناه اللغوي يعني الرجوع والعودة. وهناك معان اصطلاحية للتأويل، فقد استعمله كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وأيضًا بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، قال تعالى ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تأويلهُ يَوْمَ يَأْتِي تأويلهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا**﴾[١]، وتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد، هو ما أخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك، كما قال تعالى في قصة يوسف لما سجد له أبواه وأخوته، ﴿**قَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تأويل رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**﴾[٢]، فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا [٣]، ويعرف الجويني التأويل: (أنه رد الظاهر إلى ما إليه مآله في دعوى المؤول)[٤]، ومعنى هذا إعطاء معنى يحتمل الظاهر ومعرفة المراد، لكن هذا الخروج عن الظاهر وتركه لا بدَّ من قرائن تدعو إليه وتعضده، وأيضًا لا بدَّ أن لا يخرج التأويل عن معاني اللغة، وأن لا يكون ملغزًا أو مبهمًا، يؤكد الجويني هذا المعنى. فيذكر ضرورة تقييد التأويل بقواعد اللغة ومراعاة أساليب البلاغة، فيقول: (إنما يسوغ في التأويلات ما يسوغه ويرى عدم حمل الألفاظ على النادر الشاذ) والتأويل: صرف اللفظ من معناه الظاهر، إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه، موافقا للكتاب والسنة، ويشترط في التأويل معرفة الأصول ومعرفة الإستنباط من تلك الأصول بالقياس [٥].

المعنى نفسه للتأويل وشروطه وضرورة تقيده بما تقتضيه اللغة والبلاغة نجده عند ابن رشد؛ إذ يعرِّف التأويل بأنَّه إخراج الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك

(١) سورة الأعراف: من الآية ٥٣
(٢) سورة يوسف: من الآية ١٠٠
(٣) ينظر: إعادة قراءة النص الديني ص ٧٦
(٤) ينظر: البرهان في اصول الفقه، الجويني، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧، ص ١٩٣.
(٥) ينظر: بركات محمد مراد: ابن رشد فيلسوفا معاصرا، مصر العربية للنشر والتوزيع القاهرة ٢٠٠٢ ص ١٤٧.

بعادة لسان العرب في التجوز في تسمية الشيء بشبيهه، أو سببه، أو لاحقه، أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عددت في تعريف أصناف الكلام المجازي[١].

المطلب الثاني: دواعي التأويل للنص الديني:

يكمن إشكال التأويل ودواعيه في أسباب عدَّة يمكن تلخيصها بالآتي:

٦. مخرج علمي يناسب العصر. للتخلص من الاتجاهات الحرفية والظاهرية والدوغمائية التي تحاول بعض الجماعات الأصولية اعتناقها والدفاع عنها، محرضة عن مستجدات العصر وتطوراته العلمية والحضارية من ناحية، وناسية أو متناسية ذلك الأفق المفتوح لسيل المعاني والمفاهيم الإلهية التي يمكن أن يصل إليها فكر المجتهدين والحكماء[٢].

٧. كثرة الاتجاهات الدينية الجامدة عند ظواهر النصوص.

٨. التأويل منهج نقدي: ولا ننسى أن مفهوم التأويل الذي يصل إليه ابن رشد ويتوج به فلسفته الدينية والعقلية معًا، لم يصل إليه إلا بفضل حسه النقدي وتأسيسه لمنهج تحليلي نقدي يقوم على العقل.

المطلب الثالث: طرائق فهم الناس للنص الديني:

في الشريعة الناس تنقسم على ثلاثة أصناف:

١. صنف ليس من أهل التأويل أصلًا[٣]، وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب؛ وذلك أنَّه لا يوجد أحد سليم العقل يعرف هذا النوع من التصديق[٤].

(١) ينظر: فصل المقال ص ٧٨.

(٢) ينظر: إعادة قراءة النص الديني ٧٨.

(٣) ينظر: يفوت، سالم، ١٩٩٩، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر، دار الطليعة،بيروت،ص١١

(٤) ينظر: تأصيل النص لدى لوسيان غولدمان، ص ٤٣، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط ١، ١٩٩٧م، ندوة الحضارة الإسلامية حضارة النص القرآني، المعهد العالي للحضارة الإسلامية ووحدة بحث مقارنة الأديان، تونس، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر؛ سالم يفوت، ص ١١.

٢. وصنف هو من أهل التأويل الجدلي، وهؤلاء هم الجدليون بالطبع، أو بالطبع والعادة[١].

٣. وصنف هم من أهل التأويل اليقيني، وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة، أي صناعة الحكمة، و هذا التأويل ليس ينبغي أن يصرح به لأهل الجدل فضلًا عن الجمهور، ومن هنا تمكن ابن رشد من الدفاع عن الفلاسفة وآرائهم بكتابة (تهافت التهافت) ضد اتهام الغزالي لهم بالكفر لقولهم بقدم العالم ونفي حشر الأجساد ونفي علم الله سبحانه بالجزئيات[٢]، ومن هنا يتبين لنا كيف يجعل ابن رشد من التأويل سبيلاً إلى الفهم المنفتح، خاصة حين يكون المجتهد متمكِّنًا من أدواته، باذلا كل جهده العقلي لاستشراف المعاني الخبيئة، التي يتضمنها النص الديني. هذا التأويل يجعل من النص المقدس نصًا ثريًا وغنيًا ومنفتح الأفق بما لا يتناهى، بل يجعله مفتوحًا على كل فهم ممكن في المستقبل، ولاسيَّما أنَّ المعاني الإلهيَّة المتضمّنة في النصوص المقدسة غير محدودة بحدود الزمان أو المكان أو مفاهيم البشر، قال تعالى ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [٣]، ويجب أن نعي أن مصطلح التأويل بقدر ما يظهر مستباحًا فإنه أيضًا- كجزء من عملية الفهم- داخل صلب القراءة المستفهمة عن كنه النص ومعناه الأول الأساس، خاصة وأن ابن رشد يدعو في مؤلفاته الأساسية إلى العودة إلى النص لفهم معانيه، لكن القراءة التأويلية بحد ذاتها تثير من طريق توصيفها اختلافًا بينًا بين مفهومها الإسلامي كما هي عند ابن رشد الذي يمثل التأويل عنده ركيزة أساسية وسبيلًا إلى الاجتهاد وبين مفهومها الغربي، خاصة تلك القراءة التي تتناول النص المقدس. أمام هذا الزخم الفكري الثري، يظهر لنا صدق ابن رشد الذي ما زال قائمًا اليوم، ونحن نعيش تنبُّؤاته التي كان يخشى حدوثها، خاصة منها ما تعلق

(١) ينظر: النص: السلطة الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ص ٩٨.
(٢) ينظر: إعادة قراءة النص الديني ص ٧٨.
(٣) سورة الكهف: الاية ١٠٩.

بجدل الدين والعقل وما ينتج عنهما من أحكام مستعجلة، التي بسببها اضطرب الناس كل الاضطراب، وحدثت فرق ضالة، وأصناف مختلفة، كل واحد منهم يرى أنَّه على الشريعة الأولى، وأنَّ من خالفه إمَّا مبتدع وإمَّا كافر مستباح الدم والمال[١]، وبحسب اعتقادنا أنَّ سبب انجرار العقل من وحي الدين يعد سببا رئيسا لنشوء التطرف لاعتماده بصورة كاملة على أهواء العقل ونتاج تفكيره الذي يقصر في كثير من الأحيان عن إدراك الحقيقة من الوجود والأشياء، لقد وعى ابن رشد جيدًا مدى خطورة تعارض الدين مع الفلسفة، بل هي أزمة لا يمكن تجاوزها إلا من طريق التحليل العقلي الصارم لها وللعوالم التي تتغذى منها، والمتمثلة في كل من الشريعة ومن الحكمة،و في تعارضهما المزعوم وذلك وصولًا إلى محاصرتها وإلى اجتثاثها نهائيًا. بذلك استقطبت كل من الشريعة والحكمة كل مجهود ابن رشد، فتوجه في فصل المقال إلى الفقهاء، وبمناهج الأدلة إلى عامة الناس، وبتهافت التهافت للفلاسفة وأصحاب البرهان.

المبحث الثاني: الانحراف الفكري نتاج القراءات المعاصرة بين المقدس والمدنس

المطلب الأول: التأويل بين الفوضوية والتقديس:

بداية نقرُّ أنَّ الفكر العربي المعاصر في مقارباته التأويلية المعاصرة للخطابات الدينية، وخاصة النّصّ القرآني أنّها سلكت مسلكين في المقاربة والمعالجة التأويلية: المسلك الأول؛ فوضويَّة في التأويل الممارس على النّصّ المقدس، والمسلك الآخر؛ التقديس، وهل كان من مهام الفكر العربي المعاصر أن يأخذ على عاتقه كما يحلو لكثير من رموزه أن يسميه (الخروج من السياج الدوغمائي المغلق)، أو الدائرة الأيدولوجية،» والذي يزعم بان ترسيخه،وتشغيله، وإعادة إنتاجه إنَّما كان من قبل المؤسسات الدينية على مدى قرون طوال»[٢] والواقع ان التأويلية – كمنهج – ارتبط به الفكر المعاصر، إذ

(١) ينظر: النص: السلطة الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ص ٩٨.
(٢) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد: محمد أركون، دار الساقي،ص:١٢.

لا يكاد ينفك عنه، لأنَّ الحداثة يؤرخ لها بميلاد الحركة التأويلية. ولذلك نرى أدونيس [١]، يربط بين الحداثة والتأويل،فالحداثة عنده «بدأت سياسيًّا بتأسيس الدولة الأمويَّة، وبدأت فكريًّا بحركة التأويل»[٢].

ظلت المشاريع التأويلية في صراع بين المقدس والمدنس كل ذلك أفضى إلى فوضى في قراءة النصوص خاصة الدينية منها، وهو ما يعكس الفوضى التأويلية الذي تعرفه الساحة الثقافية والفكرية من كسر للمتعاليات، ولا مكان للمقدسات، في عملية القراءة والتأويل[٣]، في ظل هذا الصراع ظهرت الدعوات التي تدعو لنزع القداسة عن القرآن الكريم والتعامل معه بلحاظ هو نتاج بشري خاضع لعاملي الزمان والمكان وليس هو وحيا، وخطابا ربانيا جاء للهداية البشرية.

إنَّ الفكر العربي المعاصر كان ينبغي عليه أن يدرك جيدا في أثناء ممارساته لعملية التأويل أنّ الأمة الإسلامية والعربية تنتمي إلى حضارة المقدس، والإيمان بالمطلق، وإنَّ مشاريع القراءة التأويلية المعاصرة محكوم عليها بالفشل إذا لم تنطلق من طريق الإيمان والمقدس.

إنَّ الخلط المنهجي الذي وقع فيه الفكر العربي المعاصر هو تبنيه لنظريات ومناهج نقدية نشأت في بيئة مغرقة في الإنسية، وتسعى لأنسنة المقدس، وتستبعد كون الوحي مصدرًا للمعرفة.

---

(١) ينظر: علي أحمد سعيد إسبر المعروف باسمه المستعار أدونيس ١٩٣٠ ، شاعر سوري، في قرية قصابين التابعة لمدينة جبلة في سوريا، تبنّى اسم أدونيس تيمنًا بأسطورة أدونيس الفينيقية الذي خرج به على تقاليد التسمية العربية منذ العام ١٩٤٨، تزوج من الأديبة خالدة سعيد ولهما ابنتان: أرواد ونينار، موقع الويكيبيديا على الرابط: https: / /ar.wikipedia.org /wiki/

(٢) الثابت والمتحول، ج٣، صدمة الحداثة: أدونيس، دار العودة بيروت، ط٤، ١٩٨٣، ص: ٩.

(٣) ينظر: أزمة الخطاب الديني في الفكر العربي المعاصر، د.لبصير نور الذين جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، ص ٩.

التأويل كمنهج يسعى إلى تفكيك الخطاب القرآني وتعريته من قداسته: ظهر من النقاد من ينظر إلى النص القرآني كمنتجٍ ثقافي، أنتجه واقعٌ بشري غير تاريخي في معظم الأحيان، ولذلك تعامل هؤلاء النقاد مع النص القرآني كنص أدبي قابل لفض أسراره اعتمادًا على رؤية المؤوِّل الخاصّة، وهذا بحسب اعتقادنا هو السبب الرئيس للانحراف الفكري في المجتمعات المسلمة لانقطاع التواصل التوجيهي بين النص المقدس والمتبع له.

إن التأويلية تسعى لإلغاء المقدسات نهائيًا، وكسر المتعاليات، وتنظر للوجود من منظار مادي بحت فتدنس المقدس وتقدس المدنس، وهذا ما يعبرون عنه بانتهاء المتعاليات، وأنسنة المقدس، وأنسنة الوحي وغير ذلك من التعبيرات.

فإذا كانت الدراسات الغربية استطاعت نزع القداسة عن التوراة والإنجيل، فهل يفلح أنصار التيار التأويلي كمحمد أركون وغيره في تفكيك الخطاب القرآني وتعريته من قداسته؟،فيأمل هؤلاء أن يتحقق ذلك بلحاظ أنَّ التقديس للقرآن كان سبب براعة القرآن في التغطية التاريخية على أرضيته، ولكنّه يرى في مكان آخر، أن: «التقديس للكتب المقدسة خلع عليها،وأسدل بوساطة عدد من الشعائر، والطقوس، والتلاعبات الفكرية الاستدلالية، ومناهج التفسير المتعلقة بكثير من الظروف المحسوسة المعروفة أو تمكن معرفتها، وأقصد بها الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية... وهذا التقديس الذي خلع وأسدل قد توضحت أسبابه وبرهن عليها فيما يخص التوراة، والإنجيل، ولكنّها لم تحصل حتى الآن فيما يخص القرآن الكريم.

وحتى يتحقق هذا المقصد صاغوا لنا مجموعة من المصطلحات تطلق على القرآن الكريم من أجل زحزحة المقدس، واستبداله بمفاهيم مدنسة جديدة تقبل النقد، والتحوير، والإسقاط،فأطلقوا على القرآن مجموعة من المصطلحات: رواية، أو مجموعة روايات، أو هو مجرد حكاية من الحكايات، أو ملاحم دراماتيكية الساحر الخارق

الخلاب، أو المدونة القرآنية، أو المدونة النصية القرآنية، أو المدونة الرسمية، أو النّصّ الرسمي القانوني،... وغيرها من المصطلحات.

المطلب الثاني: الخلط بين النص الأدبي والنص الديني:

ارتبط التأويل أصلًا بالنص الديني قبل أن يرتبط بالنص الأدبي، لكنّه انتقل إلى النّصّ الأدبي، ثمّ أتى الحداثيون العرب ليقلبوا المسألة، ويأخذوه إلى تأويل القرآن، ويبدؤوا في فوضوية التأويل، والعبث بالنصّوص فسادًا زاعمين أنَّه نص كباقي النّصوص قابل للتأويل والدراسة كما لو كان كتابًا أرضيًّا .

لو اقتصر الأمر على الدراسات الأدبية فليس هناك إشكال، ولا مشاحة في الاصطلاحات، لكنَّهم استخدموا هذه المناهج الأدبية بفلسفاتها الأوروبية من دنيوية،وفوضوية، وعبثية، ومادية، وغير ذلك؛ استخدموها في الخطابات الدينية.

يسمُّون أنفسهم بأصحاب الفكر المستنير أو مفكري الحداثة أو غيرهم من الذين يتبنون اتجاهات فكرية وعلمانية حديثة ويتأولون النصوص، ومن ثمّ فلا حرج عليهم في ذلك؛ لأن هذه نزعت عنها القداسة لذلك هم يستخدمونها بأي منهج يريدون، لان القول بألوهيّة هذه النّصوص وقدسيتها – في نظرهم – تجعلها نصوصًا مستغلقة الفهم على الإنسان العادي، ومن هنا نشأ الخلط الواضح بين النّصّ الديني، والنّصّ الأدبي عند نقاد الحداثة. وهذا ما صرح به أركون عندما يقف في وجه القرآن ويتصدى له، فالقرآن يرسخ الأدلجة والأسطرة والتقديس[1]

المبحث الثالث: فوضوية التأويل باعث التطرف الفكري:

هنالك أسباب عدَّة انحرفت بالعقول والأفكار عن صراطها المستقيم وجعلت قارئ النص الديني عرضة للتشتت والانحراف الفكري واحتمالية اتجاهه نحو الغلو والتطرف، ومنها:

(١) ينظر: نقد النص: على حرب، ص: ١٧.

١. نفي المقصد القراني من تشريعه: لعلَّ من أبرز الثغرات المنهجية التي غفل عنها، أو تغافلها أصحاب القراءات التأويلية للنص القرآني هذا التجريد للنص عن مقصديته العلنية وأهدافه الكبرى، وتغييبه عن غاياته التي تتحدد في الهداية والإرشاد والتزكية والعمران وحفظ الوجود البشري واستدامته، وإخراج البشرية من الظلمات إلى النور يعد من أبرز الإخفاقات التي سقطت فيها هذه المشاريع التي اختارت إبعاد القرآن الكريم عن رسالته ومقاصده. والنزوع نحو التحديث والتجديد والعصرنة.

٢. تنازع السلطات في عملية التأويل: ترتبط قوة السلطة وهيمنتها بمفهوم التأويل، فالقدسية هيمنة وسيطرة وانقياد، إن امتلكها النص تمتع بها ومارسها على القارئ فأعجزه، وإن اختلفت للقارئ تقدس بها ومارسها على النّصّ[١].

إنَّ العملية التأويلية تقوم على مبدأ التفاعل بين (المؤلف، النص، القارئ) ويعدّ القارئ هو الحدّ الوحيد للوصول للنّصّ، كما يقول أبمرتو إيكو، إذ يميز بين مقصدية المؤلف، ومقصدية النّصّ، ومقصدية القارئ، فالعملية التأويلية لا تتم في مقاصد الكاتب، ولكن في مقصدية النّصّ[٢].

إنَّ أهم ما يميِّز النصّ القرآني منذ الأزل، إنَّما هو مرجعيته الربانية، فاللَّه عز وجل هو المرسل للوحي إلى الرسول محمد صلى الله عليه وآله رسالة من السماء، فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى يحمل كل صفاته الأزليَّة، فلماذا يصر أهل الحداثة على إحداث ثورة في الفكر الديني أو في العقل اللاهوتي، ولا سيما في جانبه المقدس؟، إذا كانت الدراسات الغربية نزعت القداسة عن الكتاب، ودخلت في دائرة الهرمنيوطيقا، ودخلت في الدائرة العريضة لأسباب التأويل، فهل يحق للفكر التنويري نزع القداسة عن القرآن الكريم كما نزعت

(١) ينظر: تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص: حمزة فاضل يوسف، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان١، ٢، المجلد٧، ٢٠٠٨، ص: ١٤.

(٢) ينظر: U.ECO.lecto.in Fabuia. Tra.bar. Myraim Bouzoher. Grasset et Fasgueiie،Paris١٩٨٥،p:٥٨.

القداسة عن الكتب السماوية الأخر، وكيف يسُلَّم لهؤلاء بأنَّ فهم الخطاب لا يتم إلا إذا نحينا مقاصد القائل جانبًا، وافترضنا أنَّه غير مقدَّس؟!

في حين أنَّ المقصد والغاية من بعثة الرسل والأنبياء والوحي عمومًا هو الفهم عن الله عز وجل، وإنزال هذا الفهم تطبيقا، وعملا، وسلوكا على أرض الواقع!.

وفي ظل تنازع السلطة بين النصّ، والقارئ الذي هو محور العملية التأويلية للخطاب الديني وجوهرها، إن توازنت توازن التأويل، وإن رجحت كفة النص أعجز القارئ وانقاد له، وإن رجحت كفة السلطة للقارئ [1]، يصبح النص قابلا لتعدد القراءات والاختلافات، ومسلكا لصناعة تجاربهم، وبث أحكامهم، وأهوائهم، ويصبح النّص لعبة بيد القارئ، فهو كقارئ للنّصّ يغدو منتجه الأوحد، المنتج لا المستهلك ممّا يغرق النصوص في فوضوية التأويل.

ولذلك أصبحت التأويلية تدعو لعدم الرضوخ لأية سلطة حاكمة للقراءة والتفسير، سوى سلطة القارئ وحريته في تأويل النص.

وفي ظل الانفجار المعرفي الذي تشهده الدراسات النقدية المعاصرة؛ خاصة مع ظهور المقاربات المنهجية المختلفة؛ إذ استعان أصحاب المشاريع التأويلية في الفكر العربي المعاصر ببعض هذه المنهجيات النقدية المعاصرة في استنطاق النّصّ القرآني؛ من دون مراعاة خصوصية الخطاب القرآني؛ فتناسلت المقاربات لدرجة يصعب معها الاهتداء إلى روح النّصّ وجوهره؛ ذلك انها هزّتّ أركان المعرفة العلمية بدورانها في فلك الدائرة التأويلية؛ إذ لا توجد ذات قصدية وواعية تكون مرتكزا للعملية التأويلية، ولا توجد موضوعات خارجية مستقاة عن هذه الذات، ولكن كل ما هنالك منظورات متباينة ومتزاحمة.[2]

(١) ينظر: تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص: حمزة فاضل يوسف، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان،١، ٢،المجلد٧،٢٠٠٨،ص:٧.

(٢) ينظر: مأزق الحداثة: الخطاب الفلسفي لما بعد الحداثة: رفيق عبد السلام بوشلاكة، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية، العدد السادس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا، ربيع الآخر ١٤١٧هـ/ سبتمبر ١٩٩٦، ص:١١٨.

وتبقى الممارسة التأويلية المنتجة للمعنى ضرورة معرفية وحضارية، وكل محاولة تسعى لتغييب النّصّ، وقطعه عن إطاره الروحي، والثقافي والإنساني؛ سيكون مآلها الفشل؛ وهذا قصور في الفهم وعجز عن إدراك حقيقة العملية التأويلية؛ لان: النّصّ ممارسة ذات معنى وليس فعلا مجانيا [١].

٣. ما لا نهاية المعنى: التأويلات المتناسلة التي لا نهاية لها تفضي إلى ما لا نهاية المعنى، وذلك لأنَّ التقديس اختفى، والبحث عن مقاصده وهم، ولا توجد قراءة بريئة، واللغة نظام من الرموز، والإشارات، فان النهاية لابد أن تكون «لا نهائية المعنى، كيف يمكن تطبيقها على القرآن؟ ان المعاني التي تلحق به ليست منه، وإنّما معاني ألصقها عدد من القراء بالنّصّ، وهذا ما يبحثون عنه لان رفض المعنى النهائي يعتبر نشاطًا ثوريًا،لأنّه في النهاية رفض للاهوت ولأقانيمه ورفض للعقل والعلم والقانون»[٢].

فاتجاه ما بعد الحداثة يسعى إلى إعادة تعريف الحقيقة وتجريد صفة المطلقية منها بكونها متغيرة، وزعزعة الثقة بها وبأية ثوابت تمتلك صفة الإطلاق «من أجل ذلك سعت حركة ما بعد الحداثة إلى تأصيل النص وانفتاحه، وقدرته على إنكار الحد والحدود؛ ممّا يجعله يقبل التأويل المستمر والتحول الدائم، وبذلك -بحسب رأيهم- تتحول النصوص إلى نصوص لانهائية في نصيتها، ولامحدودية في معانيها؛ مما يقضي إلى تعدد الحقائق، والعوالم بتعدد القراءات»[٣].

٤. النص المفتوح: يعد من المصطلحات ما بعد الحداثة، وهذا المصطلح يعني أن النّصّ قابل للتأويل المستمر، والتحول الدائم؛ إذ أنّه يتعدد بتعدد القراء، ولا شك في أنَّ القراء ليسوا على شاكلة واحدة؛ إذ تختلف طبائعهم، وثقافاتهم، ونفسياتهم وأحوالهم،

(١) ينظـر: Julia Kristiva، la revolution du langage،poins،Editions du seuil، ١٩٧٤، p، ٣٤٠

(٢) ينظر: عبد العزيز حمودة «المرايا المحدبة «ص ٣٩٦

(٣) النقد والنقاد المعاصرون: محمد مندور، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د،ت،ص: ٣٤.

وهم يحملون سائر هذه الأحوال إلى النّصّ الذي غدا النظر إليه نسبيًا غير موضوعي؛ وبذلك يحمّل من المعاني والمضامين ما لم يرده قائله حتى ليقول فيه من شاء ما شاء، فالقراءة – عندهم – هي خلق جديد للنّصّ واكتشاف أبعاد فيه ربما لم تكن مقصودة في نشأته الأولى، وبهذا يتغير معنى النّصّ، ويتمّ تأويله بحسب الأحوال والفروق والبيئات والحضارات والعصور، وقد ألفت كثير من الكتب التي تناولت النص الديني من هذه الوجهة، ولو اقتصر الأمر على الدراسات الأدبية لقلنا لا مشاحة في الاصطلاح، لكن عندما ينقل هذا التصور عن النّصّ المفتوح من المجال الأدبي، والنقدي إلى المجال الفكري، وإلى المجال الفلسفي، وإلى المجال السياسي، وخاصةً إلى المجال الأيديولوجي هنا يكمن الخطر، لأنَّه يتيح التلاعب بقدسية النصوص الدينية ومدى تطابقها مع احتياجات المعاصرة، كون النصوص القرانية والحديثية الثابتة صحتها لها مقصد ثابت ومعنى مستقر لا يمكن أن تتحوَّر بناء على مقصدية القارئ واحتياجاته الفكرية، وهذا ما تلاعبت به الفرق المتطرفة وجعلته حجة للتعامل وتكفير الآخرين.

الحق أنَّ هذه الرؤية الحداثية التي انتقلت إلينا من الفكر الغربي، وإن بدأت بالنّصّ الأدبي، ثمّ تحولت إلى النّصّ الديني؛ فإنَّها في الفكر الغربي لم تكن نتاج النظريات الأدبية في القرن العشرين؛ وإنّمّا انطلقت – ومنذ تاريخ طويل – من الدين، إذ نشأت في إطار الجدل الذي ثار حول النظر إلى الإنجيل حينما حطم لوثر النظام القائم، ودعا إلى مسألة تعدد المعاني في الكتاب المقدس، وهذا يعني ان كل اختلاف في التأويل إنّما هو موجود أصلًا في النصّ،وبهذا يتحول معنى النّصّ لصالح المعنى الذي عند المتلقي؛ فيترسخ لذلك مبدأ الحرية في التأويل، ويحطم المرجع الواحد الذي تحاكم على أساسه التأويلات وتقام مقامه مرجعيات متعددة بتعدد الذوات المؤولة، وهو ما يسميه تودورف بالعدمية، وهذه العدمية – عنده – تجيء بشكل مباشر من انهيار العقائد المشتركة لكل المجتمع، وبذلك يصبح النّصّ مفتوحًا، وقابلًا لكل التأويلات المتقاربة; بل المتناقضة أيضًا.

أما النّصّ المفتوح وعلاقته بالوحي فيتجلى ذلك في هجوم محمد أركون على نصوص القرآن؛ إذ يرى أنَّ النّصّوص الدينية ليست سوى نصوص لغوية، ويتبنى القول ببشريتها، وينادي بتأويلها تأويلًا مفتوحًا متنوع القراءات بحسب نوعية، وعدد القراء؛ لأنّه يرى ان التمسك بحرفية النّصّ، ودلالاته اللغوية يجعل النّصّ مغلقًا، ومن ثمّ ينحصر فهم النصّ في أقلية مستبدة مسيطرة حسب قوله، ونحوا من هذا الطرح، ومن زاوية تاريخية يدرس أركون نصوص الوحي على وفق مفهوم النّصّ المفتّوح ايضًا، وضمن منظور الدلالات المفتوحة القابلة للتجدد مع تغير آفاق القراءة، المرتهن بتطور الواقع اللغوي والثقافي – بحسب كلامهم –.

٥. التعارض بين المعقول والمنقول: من تجاذبات العقل والنقل في التأويلية الحديثة أسبقية العقل على النص ممّا يؤدي إلى تحويل الفهم، والتفسير إلى عملية آلية تحكمها سلطة المنقول، وهو ما يجعلها تتعالى على التاريخ.

إنّ النّصّوص في ذاتها لا تمتلك أيّ سلطة اللهم إلا السلطة المعرفية التي يحاول كل نص – بما هو نص – ممارستها في المجال المعرفي الذي ينتمي إليه، وهذه السلطة – أي المعرفية – لا تتحول إلى سلطة ثقافية اجتماعية إلّا بفعل الجماعة التي تتبنى النّصّ، وتحوله إلى إطار مرجعي، وأما السلطة التي تتمتع بها النّصّوص فيُضفيها عليها العقل الإنساني، ولا تنبع من النّصّ ذاته.

لقد ساد الخلاف طويلًا بين أنصار الاتجاه النقلي، وأنصار الاتجاه العقلي حول مسألة أسبقية الدليل النقلي على العقلي أو العكس، وقد كان لهذه القضية التي احتدمت منذ وقت مبكر أثرها في التفكير الإسلامي عبر القرون، وبقيت تتنازعها الآراء، وتتضارب حولها الأفكار، واتخذها البعض مطية لإطلاق العنان للعقل، وتحكيمه في تفسير كل آيات القرآن الكريم.

٦. الفهم المؤول للنصوص الدينية:

إنَّ الفهم الخاطئ للآيات بناء على القراءة المعاصرة للمعاني المستقاة من النصوص كانت وما زالت الثغرة التي نفذ من طريقها اعداء الاسلام لتنفيذ مخططاتهم وما يرمون اليه من مكر وكيد ويزداد الالم الما عندما نرى ان الجماعات المتطرفة التي تدعي الانتساب للإسلام هي المتمثلة بهذه الرؤية.

وكذا أصبح هذا الفهم المبني على تلك القراءة أصبح واقعا غريبا لاشتماله على الترويج للفكر والفهم الخاطئ بل ان المشكلة والازمة لم تكتف في الوقوف لهذا الحد بل تعدته الى الترويج لهذا الفهم واستجهلت الناس بل وقتلتهم وعزرتهم ان لم يؤمنوا به، وكل ذلك جاء بحجة الاستدلال والتأويل والفهم المعاصر وفقه الواقع، ومما يؤسف اليه ان فينا ومنا ممن اسهم وساند هؤلاء بما يكيدون للامة وما يخططون ساندهم بفهمه وتأويله القاصر للآيات، فكان السبب بتسلط المجرمين وأعداء المسلمين على شعوبنا وأرواحنا وعقائدنا.

ونستطيع أن نبين إشكالية نشوء التطرف من طريق أسباب التأويل ودوافعه المعاصرة[١]:

١. طبيعة اللغة ومرونتها وتنوع اساليبها في الدلالة على المعاني وجميع ذلك فتح المجال للتعاطي مع التأويل كوسيلة لفهم القرآن الكريم والسنة المطهرة[٢].

٢. دفع التعارض الظاهري بين الادلة ويقتضي هذا التعارض الظاهري نوعا من الترجيح بينها او التوفيق وهو مما لا يتأتى إلا بنوع من التأويل لبعض النصوص.

٣. قد يكون التأويل ردة فعل لظاهرة المغالاة في التمسك بالظاهر[٣].

٤. التحرر من النص وحقيقته بغرض التوفيق بينه وبين الراي الذي يحمله المؤول

(١) ينظر: دور الفهم الخاطئ للايات وفساد التفكير في التطرف والتكفير، مريم بنت راشد بن صالح التميمي، بحث مشارك في مؤتمر كلية الشريعة جامعة قطر غير منشور، ص ١٢.

(٢) ينظر: نهاية الايجار في دراية الايجاز، تحقيق احمد السقا، المكتب الثقافي مصر ١٩٨٩ ص ٨٩-١١٣.

(٣) ينظر: محمد احمد المبيضين،التأويل واثره في الاختلاف العقدي والفقهي ص ٥

وهو يعد أخطر سبب من الأسباب المغطية للخلاف الفكري والمنهجي والعقدي فيؤول النصوص وفقا لما يمليه الهوى كما حصل للفرق الباطنية وبعض المتطرفين[1]

(١) ينظر: محمد احمد المبيضين،التأويل واثره في الاختلاف العقدي والفقهي ص ٥

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين:

ظلت هذه المناهج مجرد أدوات لتمرير الاختيارات، والتوجهات، والرؤى المذهبية التي يحملها أصحاب هذه المشاريع مما أساء كثيرًا إلى هذه المناهج وغيب حقيقتها وحجب سوء استعمالها والاستفادة من نتائجها.

إنَّ آليات الفهم استهلكها الفكر الغربي وأجهضها، ولكن الخطاب الحداثي العربي ما يزال يجترها على انها المنهجيات الحديثة اللازمة لفهم النص، وتلكم هي الطامة الكبرى.

إنَّ مشكلة الفكر العربي المعاصر لم يستوعب ان النظريات التأويلية الغربية تعيش في مأزق؛ وعدم الاستقرار، ولم تكلف نفسها عناء البحث عن النزاعات التي أثيرت تجاه كثير من الأمور المفصلية في النظرية نفسها، وأصبحت تثق ثقة عمياء بهذه النظريات كأنّها حقيقة مطلقة من دون التنبه للخلفيات الإيديولوجية والفلسفية التي ترمي هذه النظرية لتحقيقها.

لا نريد للفكر العربي المعاصر في تعاطيه مع التأويلية أن يصبح مرهونًا في أصالته وقدرته على الانفتاح، والتجدد بتعالقه مع المقولات النقدية الغربية الحديثة، حتى تمنحه البقاء، وتهبه شهادة استمرار الصلاحيّة.

إنَّ القراءة التأويلية الحديثة مارست عملية الإسقاط في مقاربة الخطاب الديني بالمناهج الحديثة.

وهنا لا بدَّ من التنويه إلى ما توصل إليه الباحث من نتائج عدة:

١. إن منهج فهم النص الديني الإسلامي لدى التيار الحداثي المعاصر منْفلتٌ من الضوابط المنهجية الإسلامية الخاصة بتفسير القرآن الكريم وشرح حديث النبي صلى الله عليه وآله، واستبدلت بمنهج للفهم يدعي: «الهرمنوطيقيا» وهو منهج غربي قديم، اخترع من أجل فهم وتقريب نصوص الكتاب المقدس التي واجهت مشكلات عويصة من أجل فهمها لدى المسيحي «أما التفسير الإسلامي فقد جاء للتعمق والتوضيح في النص القرآني،ولا يزال باستمرار، يكتشف آفاقا من المعرفة.

٢. لقد حاول الحداثيون بمختلف مشاريعهم الفكرية المقترحة من أجل فهم النص الديني أن يضعوا رؤى وتصورات منهجية لفهم الوحي، بيد أنَّ مشاريعهم للفهم لم تساندها أمثلة تطبيقية بالكثرة التي تبْعثُ على القول بأنَّ مشاريعهم النظرية ناجحة. وبناء على هذا فإن المشروعات الفكرية الحديثة في قراءة النص هي استجابة للتحدي الحضاري الذي فرضه الصدام مع الحضارة الغربية بمقولاتها ومنتجاتها الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تحولت إلى مكون رئيس.

٣. كانت قراءات الحداثيين للنص الديني مجافية للضوابط العلمية المجردة، إذ تتبنى موقفًا نقديًا أو هدميًا من التراث التفسيري ومن مختلف مباحث علوم القرآن، ومن علوم اللسان العربي، لكنها في هذا النقد لا تلتزم بضوابط علمية مقررة، بل تؤسس هذا النقد على افتراضات مخطئة يتمُّ الإلحاح والحرص عليها، وقل الأمر مثله بالنسبة لقراءة التيار الحداثي للسنة النبوية.

٤. إنَّ ابن رشد – الذي – يلجأ إلى هذا المفهوم لتأسيس رؤية عقلية للشريعة من أجل إثراء المعاني والمفاهيم التي لا تتناهى في النص الديني، وإن كان هذا التأويل لا يستطيعه إلا الحكيم أو العالم المجتهد،الذي هو وحده بفضل المنطق والعلم الصحي أعرف بسر التشريع وبمقاصد الشريعة.

٥. مفهوم التأويل يعني اكتشاف حقيقة أخرى، غير تلك الحقيقة التي يتضمنها القول الديني نفسه إما تصريحًا وإما تلميحًا. فهو في جوهره، ربط النتائج بالمقدمات والمقدمات بالنتائج داخل القول الديني نفسه، والبحث عن المعنى المقصود وراء التعابير المجازية والأمثلة الحسية،و ذلك بشكل يجعل مدلول ما يقرره البرهان العقلي مع القول الديني على وفاق.

٦. لا نعاني من النّصّوص بقدر ما نعاني من اللصوص.

٧. لما كان الغرض أنسنة المقدس لذلك نرى تحول مصطلح التأويل الذي كان متداولًا في مباحث الخطابات الدينية إلى علم يبحث في آليات الفهم، في جميع النّصّوص الدينية وغيرها.

٨. التيار التأويلي في نقده للقرآن باعتباره كتابًا مقدسًا يكون قد تأثر بحركة الاستشراق، وأعاد أفكارها،ومقولاتها في دعوتها القائلة ببشرية النّصّ القرآني.

٩. لم تفلح المناهج الحداثية في تخليص الخطاب الديني من أزمته ووضعيته الراهنة؟

١٠. وغالبًا ما يتسلّل هؤلاء في قراءة النّصّ القرآني قراءة حداثية من ثغرة التأويل، لذلك يبقى السجال الفكري اليوم يدور حول «النماذج التفسيرية» و«تقنيات التأويل»، لان المعركة اليوم معركة «تفسير وتأويل» بالدرجة الأولى، تدور حول السؤالين الاتيين: كيف نفهم النّصّ؟ و كيف نفهم حملة النّصّ؟

١١. يبقى التأويل الصخرة العاتية التي اعتمد عليها الفكر التنويري لتكسير وحدة الفكر الإسلامي.

قائمة المراجع والمصادر

القران الكريم

١٢. ابن رشد. أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير الحفيد (المتوفى ٥٩٥هـ). فصل المقال. دراسة وتحقيق محمد عمارة. ط٢. الناشر دار المعارف.بيروت.

١٣. أدونيس.١٩٨٣. الثابت والمتحول. صدمة الحداثة. ط٤. دار العودة. بيروت.

١٤. أركون. محمد. ١٩٩٢. الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.ط٢.دار الساقي.

١٥. إسماعيل.فادي. ١٩٨٧. الخطاب العربي المعاصر قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة. دار الوفاء للطباعة والنشر. مصر.

١٦. ابو زيد.نصر حامد.٢٠١٤.النص السلطة الحقيقة. الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة. المركز الثقافي العربي. المغرب

١٧. البقاعي. محمد خير. ١٩٨٣. نظرية النص. عدد ٣. مجلة العرب والفكر العالمي

١٨. بوشلاكة. رفيق عبد السلام. ١٩٩٦. مأزق الحداثة الخطاب الفلسفي لما بعد الحداثة. مجلة إسلامية المعرفة. السنة الثانية. العدد السادس. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ماليزيا.

١٩. التميمي.مريم بنت راشد بن صالح. ٢٠١٧. دور الفهم الخاطئ للايات وفساد التفكير في التطرف والتكفير. كلية الشريعة. جامعة قطر.

٢٠. الجابري. محمد عابد. ١٩٨٦. نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي.

٢١. الجويني.١٩٩٧. البرهان في اصول الفقه. دار الكتب العلمية.

٢٢. الحاج. محمد الأمين بله الأمين.٢٠١٥. إعادة قراءة النص الديني بين أهل التأويل ومناهج المعاصرين عدد ٢. معهد جامعة الجزيرة. مجلة فتوحات. السودان.

٢٣. حرب. علي. ٢٠٠٥. نقد النص. المركز الثقافي العربي. المغرب.

٢٤. حمودة. عبد العزيز. ٢٠٠٦. المرايا المحدبة.المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب. الكويت.

٢٥. السقا. احمد. ١٩٨٩. نهاية الإيجار في دراية الإيجاز. المكتب الثقافي مصر.

٢٦. السيد محمد شاهد. الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم.

٢٧. السيف.خالد. ٢٠١٠م. ظاهرة التأويل في الفكر العربي المعاصر – دراسة نقدية إسلامية.

٢٨. الشرفي.عبد المجيد. ٢٠١٩. قراءة في النص الديني.

٢٩. الشلف. لبصير نور الدين جامعة حسيبة بن بوعلي الجزائر. أزمة الخطاب الديني في الفكر العربي المعاصر.

٣٠. صليبا. جميل.١٩٩٤. المعجم الفلسفي.

٣١. غولدمان. لوسيان. ١٩٩٧. تأصيل النص.ط١. مركز الإنماء الحضاري. حلب.

٣٢. كالو.محمد. ٢٠٠٩. القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير. دار اليمان للطباعة والنشر.اليمن.

٣٣. المبيضين. محمد احمد. ٢٠١١.التأويل واثره في الاختلاف العقدي والفقهي.

٣٤. مراد.بركات محمد. ٢٠٠٢. ابن رشد فيلسوفا معاصرا. مصر العربية للنشر والتوزيع القاهرة.

٣٥. مرجي. فوزية عيد. ٢٠٠٦. فلسفة التوفيق بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية.).عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع اربد الاردن.

٣٦. مصطفى. عادل.٢٠١٨.مدخل إلى الهرمنيوطيقا. «نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر.

٣٧. مندور.محمد. ٢٠٠٨. النقد والنقاد المعاصرون. مطبعة نهضة مصر. القاهرة.

٣٨. ناصف. مصطفى. ٢٠٠٠. نظرية التأويل. ط١. النادي الأدبي الثقافي بجدة. السعودية.

٣٩. يفوت. سالم. ١٩٩٩. المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر. دار الطليعة. بيروت.

٤٠. يوسف. حمزة فاقل. ٢٠٠٨. تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص. العددان.١ , ٢.المجلد٧. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية. العراق.

٤١. Kristiva. Julia. ١٩٧٤. poins، Editions du seuil. la revolution du langage.

٤٢. Bouzoher. Myraim. ١٩٨٥. U ECO lecto in Fabuia. Tra.. Grasset et Fasgueiie، Paris.bar..

٤٣. أرواد ونينار. موقع الويكيبيديا على الرابط / https / /ar.wikipedia.org /wiki/

٤٤. لعلي بار ويس. الحداثة العربية وتأويل نص الإسلام الديني». اليمن. ٢٠١٥. موقع المسلم/ http / /almoslim.net /node/ ٩٢٩٣٩.